أثر تدبر القرآن الكريم
في بناء شخصية المسلم
(الصحابة إنموذجاً)

إعداد
الدكتورة / سمية إبراهيم عبد المعروف
كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة طيبة
المدينة المنورة

مقدمة

الحمد لله القائل :﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا (١) ﴾ الفرقان: ١ ، وجعله حجة ، وأوضح به للمؤمنين المحجّة ، وأظهر لهم بآياته نوراً ، وكانوا من ظُلم الباطل في لُجّة ، أحمده حمد من اتبع نهجه ، واتبع طريقه وهديه ، وأصلي وأسلم على نبيه، المبعوث بالآيات البينات والمعجزات الواضحات ، وعلى آله وصحبه الذين شادوا الدين ورفعوا لواءه في العالمين أما بعد :

فإن الله سبحانه وتعالى منَّ على هذه الأمة بالدين الذي ارتضاه دين الإسلام ، وأرسل إليها محمدا خير الأنام ، عليه منه أفضل الصلاة والبركات والسلام، وأكرمها بكتابه أفضل الكلام ، وجمع فيه – سبحانه وتعالى – جميع ما يحتاج إليه من أخبار الأولين والآخرين، والمواعظ والأمثال ، والآداب ، وضروب الأحكام، والحجج القاطعات الظاهرات ، في الدلالة على وحدانيته ، وغير ذلك مما جاءت به رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وضاعف الأجر في تلاوته ، وأمرنا بتدبره فقال جلّ شأنه : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ (٢٩) ﴾ ص: ٢٩.

وقد اختار الله لصحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتلقي الشريعة عنه قوما هم أفضل هذه الأمة التي هي خير الأمم فشرَّفهم بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم وخصَّهم في الحياة الدنيوية بالنظر إليه وسماع حديثه من فمه الشريف وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وقد بلَّغوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعثه الله به من النور والهدى على أكمل الوجوه وأتمها فكان لهم الأجر العظيم لصحبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه في سبيل الله وأعمالهم الجليلة في نشر الإسلام .

وقد اعتنى الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم عناية كبيرة وتأثروا به تأثراً بالغاً مما جعل له الأثر البالغ في توجيه سلوكهم وبناء شخصياتهم ، وفي هذا البحث نقف على جانب من جوانب عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن الكريم ، وهو جانب تدبرهم للقرآن الكريم وأثر ذلك التدبر على حياتهم وسلوكهم .

أهمية الموضوع :

إن من أنفع ما ينتفع به المرء في دينه ودنياه وفي آخرته ومثواه ، الاشتغال بكلام الله ، تلاوة وتجويداً، وحفظاً وتفسيراً وعملاً وتدبُّراً ، وهذا القرآن هو بيان الله يهدي به من يشاء يوفق للإيمان به من يشاء ، ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه فيضله عنه فما له من هاد ، ولما كان للصحابة رضي الله عنهم مكانة سابقة إلى الخير وفضل ومنزلة وصواب نهج وتزكية من الله جل شانه لهم

ولعملهم ، فإن من الرشد أن نستلهم منهجهم في التعامل مع القرآن الكريم وأن نقفو أثرهم في تدبره ومحاولة الوصول إلى بيان أثر ذلك التدبر على بناء شخصية المسلم .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث إلى :

- . التعريف بمصطلح التدبر وبيان المصطلحات المشابهة له .
- . بيان الأدلة الشرعية الواردة في التدبر .
- . بيان كيفية تدبر الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم .
- . بيان أثر التدبر في تكوين شخصية المسلم .

منهج البحث :

قام هذا البحث على المنهج الوصفي التاريخي الذي استند على الاستدلال والاستنباط والتحليل

هيكل البحث :

المقدمة :

- . أهمية الموضوع .
- . أهداف البحث .
- . منهج البحث .

المبحث الأول : **التعريف بالتدبر وبيان أهميته والأدلة الشرعية الواردة فيه**

وفيه ثلاثة مطالب :

- . المطلب الأول : التعريف بالتدبر في اللغة والاصطلاح .
- . المطلب الثاني : أهمية التدبر وفوائده .
- المطلب الثالث : الأدلة الشرعية الواردة في التدبر .

المبحث الثاني : **أثر التدبر في بناء الشخصية من خلال علاقة الصحابة بالقرآن الكريم**

وفيه ثلاثة مطالب :

- المطلب الأول : فضل الصحابة ومكانتهم .
- المطلب الثاني : عناية الصحابة بالقرآن الكريم ومظاهر تأثرهم به .
- المطلب الثالث : أثر تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية المسلم .

الخاتمة : نتائج البحث وتوصياته .

المصادر والمراجع : بترتيب حروف المعجم .

المبحث الأول

التعريف بالتدبر وبيان أهميته والأدلة الشرعية الواردة فيه

المطلب الأول : التعريف بالتدبر في اللغة والاصطلاح

التدبر في اللغة :

جاء في لسان العرب في مادة [دبر] : دَبَرَهُ يَدْبُرُه دُبُوراً : تبعه من ورائه ودابِرُ الشيء آخره ، وقطع الله دابِرَهم أَي آخر من بقي منهم ، وفي التنزيل ﴿ **فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴿٤٥﴾ ﴾ [الأنعام] أَي : اسْتُؤْصِلَ آخرُهم (١) .

ودَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّرَه نظر في عاقبته واسْتَدْبَرَه رأَى في عاقبته ما لم ير في صدره ، والتَّدْبِيرُ في الأَمر : أَن تنظر إِلى ما تَؤُول إِليه عاقبته ، والتَّدَبُّر التفكر (٢) .

وقال الخليل بن أحمد : (الدابِرُ: التابع، ودَبَرَ يَدْبُرُ دَبْراً أي تَبِعَ الأَثَر، وقوله تعالى: ﴿ **وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ** ﴿٣٣﴾ ﴾ [المدثر ٣٣] أي وَلَّى ليذهَبَ) (٣) .

وعند ابن سيده : دَبَّرَ الأَمْرَ وتَدَبَّرَه : نَظَر في عاقِبته ، واسْتَدْبَرَه : رَأَى في عاقِبَته ما لَمْ يَرَ في صَدْرِه. (٤) .

التدبر في الاصطلاح :

التدبر في اصطلاح علماء الشرع : النّظر في عواقب الأمور وهو قريب من التّفكّر ، إلّا أنّ التّفكّر تصرّف القلب بالنّظر في الدّليل والتّدبّر تصرّفه بالنّظر في العواقب(٥) .

قال الراغب الأصفهاني : (التدبير : التفكر في دبر الأمور)(٦) .

وقال السمعاني : (التدبر: النّظر فِي الأَمر إِلَى آخِره ، وَهُوَ من دبر الشَّيْء : آخِره)(٧) .

وقال الماوردي : (أصل التدبر الدبور ، لأنه النظر في عواقب الأمور) (٨)

---

١ – لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور المصري ، ٢٦٨/٤ .

٢ – لسان العرب ٢٦٨/٤ .

٣ – العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، ٣٢/٨ .

٤ – المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، ٣١٣/٩.

٥ – التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، ص٥٤ .

٦ – المفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، ص٤٥٥ .

٧ – تفسير القرآن : أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم .

٨ – تفسير الماوردي (النكت والعيون) : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، ٥١٠/١ .

ويقربُ من معنى التَّدبُّرِ التَّفكُّرُ والتَّذكُّرُ والنَّظرُ والتَّأملُ والاعتبارُ والاستبصارُ، وقد وردت هذه المعاني في القرآن في مواطن ، ويُسمَّى تدبُّرًا ، لأنَّه نظرَ في أدبارِ الأمورِ، وهي أواخرُها وعواقبها، ومنه تدبُّرُ القول (١) .

ويقول ابن القيم في معنى تدبّر القرآن هو : (تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبّره وتعقّله وهو المقصود بإنزاله لا مجرّد تلاوته بلا فهم ولا تدبّر) (٢) .

ويخلطُ بعضُ النَّاسِ بين التَّدبُّرِ والتَّأثُّرِ من سماع القرآن ، فيجعلونَ القشعريرةَ التي تصيب الإنسان والخشوعَ الذي يلحقُه بسبب تأثيرِ القرآنِ عليه هو التَّدبُّرُ، وليسَ الأمرُ كذلك ، فالتَّدبُّرُ عمليَّةٌ عقليَّةٌ تحدثُ في الذِّهنِ، والتَّأثُّرُ انفعالٌ في الجوارحِ والقلبِ ، وقد يكونُ بسبب التَّدبُّرِ، وقد يكونُ بسببِ روعةِ القرآنِ ونظمه (٣) .

ومما سبق يتبين لنا أن لفظ التدبر يطلق ويراد به : النظر بتأمل في عاقبة الأمر وما يؤول إليه ، وتلاحظ الباحثة أن هناك ارتباطا وثيقا بين معنى التدبر في اللغة ومعناه في اصطلاح علماء الشرع .

المطلب الثاني : أهمية التدبر وفوائده

نَدَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآن الكريم فقال:﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩ ﴾ص: ٢٩ تشير هذه الآية إلى وجوب تدبر القرآن الكريم لمعرفة معانيه والعمل به ، يقول القرطبي معلقاً على هذه الآية : (وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القرآن) (٤) .

وفائدة التدبر الاتعاظ، وإلى ذلك أشار الطبري في تفسير الآية فقال : (وهذا القرآن { كتاب أنزلناه إليك } يا محمد { مبارك ليدبروا آياته } يقول : ليتدبروا حجج الله التي فيه وما شرع فيه من شرائعه فيتعظوا ويعملوا به) (٥) .

يقول أبو حامد الغزاليّ : (كثر الحثّ في كتاب الله تعالى على التّدبّر والاعتبار والنّظر والافتكار، ولا يخفى أنّ الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر النّاس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره) (١) .

---

١ – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ١٨٢/١ .

٢ – مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، ٤٧٥/١ .

٣ – مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر : مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار ، ص٢٠٤ .

٤ – الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، ١٦٩/١٥ .

٥ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ١٠ / ٥٧٦ .

وذكر ابن القيم فوائد كثيرة لتدبر القرآن الكريم فقال : (فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبّر القرآن، وإطالة التّأمّل ، وجمع الفكر على معاني آياته ، فإنّها تطلع العبد على معالم الخير والشّرّ بحذافيرها، وعلى طرقاتهما وأسبابهما وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلهما ...) (٢) .

ويمضي ابن القيم في ذكر فوائد تدبر القرآن الكريم والتأمل فيه فيقول أنها . أي تدبر الآيات: (تثبّت قواعد الإيمان في قلبه وتشيّد بنيانه، وتوطّد أركانه ، وتريه صورة الدّنيا والآخرة ، والجنّة والنّار في قلبه. وتحضره بين الأمم وتريه أيّام الله فيهم ، وتبصّره مواقع العبر، وتشهده عدل الله وفضله ، وتعرّفه ذاته وأسماءه وصفاته وأفعاله ، وما يحبّه وما يبغضه، وصراطه الموصّل إليه ، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطّريق وآفاتها ، وتعرّفه النّفس وصفاتها، ومفسدات الأعمال ومصحّحاتها وتعرّفه طريق أهل الجنّة وأهل النّار وأعمالهم، وأحوالهم وسيماهم. ومراتب أهل السّعادة وأهل الشّقاوة، وأقسام الخلق واجتماعهم فيما يجتمعون فيه. وافتراقهم فيما يفترقون فيه ، وبالجملة تعرّفه الرّبّ المدعوّ إليه، وطريق الوصول إليه، وما له من الكرامة إذا قدم عليه) (٣) .

ويشير ابن القيم إلى أن هناك أمورا يجب أن يعرفها العبد من خلال تدبر الآيات القرآنية ومشاهدتها ومطالعتها ، فهي تشهده الآخرة حتّى كأنّه فيها، وتغيّبه عن الدّنيا حتّى كأنّه ليس فيها، وتميّز له بين الحقّ والباطل في كلّ ما اختلف فيه العالم، فتريه الحقّ حقّا، والباطل باطلا. وتعطيه فرقانا ونورا يفرّق به بين الهدى والضّلال، والغيّ والرّشاد، وتعطيه قوّة في قلبه، وحياة واسعة وانشراحا وبهجة وسرورا (٤) .

وقد ذم ابن القيم الذين لا يتدبرون القرآن الكريم فقال : (لِلَّهِ مَا يَفُوتُ الْمُعْرِضِينَ عَنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْمُتَعَوِّضِينَ عَنْهُ بِزُبَالَةِ الْأَذْهَانِ وَنُخَالَةِ الْأَفْكَارِ) (٥) .

وقد كشف القرآن الكريم حال الذي يحملون القرآن الكريم بغير تدبر فقال جلّ شأنه : ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾** ﴾ الجمعة: ٥ ، فَقَاسَ مَنْ حَمَّلَهُ سُبْحَانَهُ كِتَابَهُ لِيُؤْمِنَ بِهِ وَيَتَدَبَّرَهُ وَيَعْمَلَ بِهِ وَيَدْعُوَ إِلَيْهِ ثُمَّ خَالَفَ ذَلِكَ وَلَمْ يَحْمِلْهُ إِلَّا عَلَى ظَهْرِ قَلْبٍ، فَقِرَاءَتُهُ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ وَلَا تَفَهُّمٍ وَلَا اتِّبَاعٍ وَلَا

---

١ – إحياء علوم الدين : محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، ٤٢٣/٤ .

٢ – مدارج السالكين ٤٥٠/١ .

٣ – مدارج السالكين ٤٥٠/١ .

٤ – المصدر السابق ٤٥٠/١ .

٥ – إعلام الموقعين عن رب العالمين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، ١١٢/١ .

تَحْكِيمٍ لَهُ وَعَمَلٍ بِمُوجِبِهِ، كَحِمَارٍ عَلَى ظَهْرِهِ زَامِلَةُ أَسْفَارٍ لَا يَدْرِي مَا فِيهَا، وَحَظُّهُ مِنْهَا حَمْلُهَا عَلَى ظَهْرِهِ لَيْسَ إلَّا؛ فَحَظُّهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ كَحَظِّ هَذَا الْحِمَارِ مِنْ الْكُتُبِ الَّتِي عَلَى ظَهْرِهِ (١) .

ولا شك أن الكون بما يحويه من مخلوقات مجال فسيح للنظر والتدبر ومجال واسع للدراسة والبحث العميق ، وقد شاءت حكمة الخالق أن يترك للإنسان مهمة البحث عن سنن الكون وقوانينه ؛ لينتفع بها في تنمية الحياة وترقيتها وليقوم بوظيفة الخلافة في الأرض لتعميرها وتنميتها ، والإنسان –خليفة الله في الأرض– مكلف بعمارتها ولا تقوم عمارة الأرض إلا على مبادئ سامية وأُسس أخلاقية وتربوية سليمة وجليلة تمكن المسلم من أداء هذه المهمة في أكمل صورة مستمدًا هذه المبادئ من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة(٢) .

المطلب الثالث : الأدلة الشرعية الواردة في التدبر

جاءَ الأمرُ بالتدبُّرِ في أربعةِ مواضعَ من القرآنِ الكريم ، منها آيتانِ نزلتْا في سياقِ المنافقينَ ، وهما قوله تعالى :﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا** ٨٢ ﴾ النساء: ٨٢ ، قال ابن عطية : (المعنى: هؤلاء المنافقون الطاعنون عليك الرافعون بغير برهان في صدر نبوتك ، ألا يرجعون إلى النصفة وينظرون موضع الحجة ويتدبرون كلام الله تعالى ؟ فتظهر لهم براهينه ، وتلوح أدلته والتدبر : النظر في أعقاب الأمور وتأويلات الأشياء)(٣) وقوله تعالى ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ٢٤ ﴾ محمد: ٢٤.

قال ابن جرير الطبري : (يقول تعالى ذكره : أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي بينها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عليه الصلاة والسلام ويتفكرون في حججه التي بينها لهم في تنزيله فيعلمون بها خطأ ما هم عليه مقيمون { أم على قلوب أقفالها } يقول : أم أقفل الله على قلوبهم فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعبر)(٤) .

وجاءت آيتانِ في سياقِ الكفَّارِ ، وهما قوله تعالى :﴿ **أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ** ٦٨ ﴾ المؤمنون: ٦٨ ، وقوله تعالى: ﴿ **كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ** ٢٩ ﴾ ص: ٢٩ ، وليس نزولُ الآيةِ في سياق غيرِ المؤمنينَ يعني أنَّ المؤمنينَ لا يُطلبُ منهم التَّدبُّر، بل

---

١ – إعلام الموقعين عن رب العالمين ١٢٧/١ .

٢ – الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : السيد الجميلي ص ١٠ .

٣ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : عبد الحق بن غالب بن عطية ٨٣/٢ .

٤ – تفسير الطبري ٣٢١/١١ .

هم مأمورونَ به ، وداخلونَ في الخطاب من باب أولى ، لأنَّهم أهلُ الانتفاعِ بتدبُّرِ القرآنِ ، وإنّما المرادُ هنا بيانُ من نزلت بشأنه الآياتُ، دون بيان صحَّةِ دخولِ المؤمنينَ في الخطابِ ، والله أعلمُ(١) .

ومما سبق يمكن القول أن الآيات الآمرة بالتَّدبُّرِ منها ما جاءَ على شيءٍ مخصوصٍ ، كقوله تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا (٨٢) ﴾ النساء: ٨٢ ، ومنها ما جاءَ مطلقًا بالتَّدبُّرِ العامِّ ، كقوله تعالى :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٢٩) ﴾ ص: ٢٩ والأصلُ أنَّ مرحلةَ التَّدبُّرِ تأتي بعدَ الفَهْمِ ، إذ لا يُمكنُ أن يُطلبَ منك تدبُّرُ كلامٍ لا تعقِلُه، وهذا يعني أنَّه لا يوجدُ في القرآنِ ما لا يُفهَمُ معناهُ مطلقًا، وأنَّ التَّدبُّرَ يكونُ فيما يتعلَّقُ بالتَّفسيرِ، أي أنَّه يتعلَّقُ بالمعنى المعلومِ .

قال الطبري : (وفي حَثِّ الله عز وجل عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات – بقوله جل ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم :﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٢٩) ﴾ ص: ٢٩ ، وقوله:﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٧) قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٢٨) ﴾ الزمر: ٢٧ - ٢٨ ، وما أشبه ذلك من آي القرآن ، التي أمر الله عباده وحثَّهم فيها على الاعتبار بأمثال آي القرآن، والاتعاظ بمواعظه – ما يدل على أن عليهم معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آيه ، لأنه مُحَالٌ أن يُقال لمن لا يفهم ما يقال ولا يعقل تأويلَه : اعتبر بما لا فَهْمَ لك به ولا معرفةَ من القِيلِ والبيان والكلام إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به. فأما قبل ذلك، فمستحيل أمره بتدبره وهو بمعناه جاهل)(٢) .

أما في السنة النبوية فلم ترد أحاديث صريحة مرفوعة للنبي صلى الله عليه وسلم تدل وتأمر بتدبر القرآن الكريم ، ولكن هناك بعض الأحاديث التي تدل على اهتمامه صلى الله عليه وسلم بسماع القرآن الكريم وتأثره به وترديده للكثير من الآيات القرآنية منها حديث عمرو بن مرة رضي الله عنه قال : قال لي النبي صلى الله عليه وسلم (اقرأ علي) ، قلت آقرأ وعليك أنزل ؟ قال (فإني أحب أن أسمعه من غيري) . فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا (٤١) ﴾ النساء: ٤١ قال (أمسك) فإذا عيناه تذرفان)(٣) ، وفي بكاء النبي صلى الله عليه وسلم عند هذه الآية أقوال(٤) : الأول : بكاؤه عند هذه الآية الكريمة لأنه لا بد من أداء الشهادة

---

١ – مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر ص١٨٦ .

٢ – تفسير الطبري ٦٠/١ .

٣ – أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري في الجامع الصحيح ، كتاب التفسير ٧٩ باب تفسير سورة النساء ١٦٧٣/٤ حديث ٤٣٠٦ .

٤ – عمدة القارئ : بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، ١٧٤/١٨ .

والحكم على المشهود عليه إنما يكون بقول الشاهد فلما كان هو الشاهد وهو الشافع بكى على المفرطين منهم ، الثاني : أنه بكى لعظم ما تضمنته هذه الآية الكريمة من هول المطلع وشدة الأمر ، إذ يؤتى بالأنبياء عليهم السلام شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب ، الثالث : أنه بكى فرحا لقبول شهادة أمته يوم القيامة وقبول تزكيته لهم في ذلك اليوم العظيم .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم : (اقرأ علي القرآن) ، قلت آقرأ عليك وعليك أنزل ؟ قال (إني أحب أن أسمعه من غيري)[١] وعن علي بن أبي طالب قال : (إن الفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم في معاصي الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى غيره ، إنه لا خير في عبادة لا علم فيها ولا علم لا فهم فيه ولا قراءة لا تدبر فيها)[٢] .

المبحث الثاني

أثر التدبر في بناء الشخصية من خلال علاقة الصحابة بالقرآن الكريم

المطلب الأول : فضل الصحابة ومكانتهم

لفظ (صحابى) مشتق من الصحبة ، فى اللغة : يقال صحب أى دعاه إلى الصحبة ولازمه ، وكل شئ لازم شيئاً فقد استصحبه [٣] .

وفي اصطلاح أهل الحديث : (الصحابى هو من لقى النبى صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، ومات على الإسلام، ولو تخللت ردة على الأصح) [٤] .

وعلى التعريف اللغوي جرى أصحاب الحديث فى تعريفهم بالصحابى اصطلاحاً : فذهبوا إلى إطلاق (الصحابى) على كل من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ، ولو ساعة واحدة فما فوقها .

---

١ – أخرجه البخاري في الصحيح في ٦٩ كتاب فضائل القرآن ٣٢ باب من أحب أن يسمع القرآن من غيره ١٩٢٥/٤ حديث ٤٧٦٢ .

٢ – أخرجه عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي في السنن ، ١٠١/١ حديث ٢٩٧ وإسناده ضعيف فيه الليث بن أبي سليم ، صدوق اختلط جدا ولم يتميز حديثه فترك ، تقريب التهذيب : أحمد بن علي بن حجر العسقلانى ، ص ٤٦٤ .

٣ – لسان العرب ٥١٩/١ .

٤ – نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، تحقيق : عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ص: ١٤٠ .

وللصحابة رضي الله عنهم مكانة وفضل عظيمان، حيث دلت النصوص المتواترة من الكتاب والسنة على المنزلة العظيمة للصحابة رضوان الله عليهم ، وعلى وجوب حبهم وتعظيمهم وتوقيرهم والاحتجاج بإجماعهم والاستنان بآثارهم ، ومما يؤكد فضل الصحابة ومكانتهم العظيمة أن الله سبحانه وتعالى أثنى عليهم في مواضع كثيرة من القرآن الكريم مشيرًا فيها إلى أفضليتهم منوهًا بفضلهم ومن ذلك : قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٧٤ ﴾ الأنفال: ٧٤ ، فلقد أثنى الله تعالى في هذه الآية الكريمة على المهاجرين والأنصار الذين جاهدوا في سبيل الله بأن وعدهم بالمغفرة والرزق الكريم.

وقال تعالى في مدح الصحابة من المهاجرين والأنصار: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ١٠٠ ﴾ التوبة: ١٠٠، ففي الآية الكريمة دلالة على فضل المهاجرين والأنصار ووعد لهم بجنات تجري من تحتها الأنهار (١) .

وقال تعالى ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحٗا قَرِيبٗا ١٨ ﴾ الفتح: ١٨ .

وتؤكد السنة النبوية على هذا الفضل لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ذلك : ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تسبوا أصحابي ، لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه) (٢) .

يتبين لنا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم في نص هذا الحديث فضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد نهى عن سبهم ، ووصفهم بالصحبة، وأضافها إلى نفسه، تنويهًا بفضلهم، وبيانًا لشرف منزلتهم ، ثم بين أيضًا أنهم يفضلون غيرهم لكونهم ينفقون أموالهم في سبيل الله، لأن نفقاتهم كانت في وقت الضرورة وضيق الحال ونصرة للنبي صلى الله عليه وسلم بخلاف غيرهم. من هنا كان إنفاق مُد طعامهم أو نصفه من أحدهم أفضل عند الله من إنفاق مثل جبل أُحد ذهبًا من غيرهم (٣) .

---

١ – تفسير القرطبي ٢٣٥/٨ .

٢ – أخرجه مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري في الجامع الصحيح تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ٤٤ كتاب فضائل الصحابة ٥٤ باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، ١٩٦٧/٤ حديث ٢٥٤١ .

٣ – المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي ، ١٣٩/٣ .

وقد أثنى على الصحابة رضوان الله عليهم علماء الأمة مقدرين فضلهم وأسبقيتهم في الدفاع عن دعوة الإسلام في بداياتها الأولى، وشاهدين بعدالتهم وجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحملهم الأذى في سبيل الله ، فهم أكمل هذه الأمة عقلاً وعلمًا وفقهًا ودينًا .

المطلب الثاني : عناية الصحابة بالقرآن الكريم ومظاهر تأثرهم به

هناك الكثير من الأدلة والشواهد التي تبين عناية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم وتدبره ، فقد ورد أنهم كانوا يقترئون من رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر آيات فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل قالوا فعلمنا العلم والعمل (١) .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كنا إذا تعلمنا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي نزلت بعدها حتى نعلم ما فيه) (٢) .

ولا ريب في ذلك فقد تربى الصحابة رضي الله عنهم على يد النبي صلى الله عليه وسلم ، ورأوا كيف كيف يتعامل مع القرآن الكريم ، فعن عائشة رضي الله عنها أنه ذكر لها أن ناساً يقرأون القرآن في الليلة مرة أو مرتين ، فقالت : (أولئك قرأوا ولم يقرأوا ، كنت أقوم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة التمام فكان يقرأ سورة البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، فلا يمر بآية فيها خوف إلا دعا الله واستعاذ ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب إليه) (٣) .

وعن حذيفة رضي الله عنه قال : (صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة ، فقلت يركع عند المائة ثم مضى ، فقلت يصلي بها في ركعة، فمضى فقلت يركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها ، يقرأ مترسلا إذا مر بآية فيها تسبيح سبح ، وإذا مر بسؤال سأل ، وإذا مر بتعوذ تعوذ) (٤) .

---

١ – أخرجه أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني في المسند ، حديث ٢٣٥٢٩ وإسناده ضعيف فيه عطاء بن السائب : صدوق اختلط ، ورواية ابن فضيل عنه فيها غلط واضطراب ، انظر : تقريب التهذيب ص٣٩١ والكواكب النيرات ص٦١ .

٢ – أخرجه محمد بن عبد الله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين ، ٧٤٣/١ حديث ٢٠٤٧ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ولم يعلق عليه الذهبي .

٣ – أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٩٢/٦ حديث ٢٤٦٥٣ وإسناده ضعيف فيه مسلم بن مخراق مولى عائشة ، مقبول ، تقريب التهذيب ص٥٣٠ .

٤ – أخرجه مسلم في الصحيح في ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٢٧ باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٥٣٦/١ حديث ٧٧٢ .

عَـنْ أَبِي وَائِـلٍ ، قَـالَ: جَـاءَ رَجُـلٌ يُقَـالُ لَـهُ نَهِيكُ بْـنُ سِـنَانٍ إِلَى عَبْـدِ اللهِ ، فَقَـالَ : إِنِّي لَأَقْـرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ : هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ ؟ إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ)(١) .

ومن مظاهر عناية الصحابة رضي الله عنهم بالقرآن وتأثرهم به أنهم كانوا يقرَأون القرآن الكريم بتفكر حَتَّى إذا مروا بِآيَة كرروها وَلَو مائَة مرّة وَلَو لَيْلَة ، لأنهم علموا أن قراءة آيَة بتفكر وتفهم خير من قِرَاءَة ختمة بِغَيْر تدبر وتفهم ، وأنفع للقلب وأدعى إلى حُصُول الايمان وذوق حلاوة الْقُرْآن(٢) .

وَقد ثَبت عَن النَّبِي صلى الله عليه أنه قَامَ بِآيَة يُرَدِّدهَا حَتَّى الصَّباح وَهِي قَوْله : ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ المائـدة: ١١٨... الحـديث(٣) ، ويـرى الصـحابة أن قراءة الْقُرْآن بالتفكر هِيَ أصل صَلَاح الْقلب ، وَلِهَذَا قَالَ ابْن مَسْعُود (لا تهذوا الْقُرْآن هَذَّ الشّعْر وَلَا تنثروه نثر الدقل(٤) وقفُوا عِنْد عجائبه وحركوا بِهِ الْقُلُوب لا يكن هم أحدكم آخر السُّورَة) (٥) .

ورُوى عَنْ أَبِي حَمْزَةَ قَالَ : (قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : إِنِّي سَرِيعُ الْقِرَاءَةِ ، إِنِّي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ فِي ثَلَاثٍ قَالَ : لَأَنْ أَقْرَأَ الْبَقَرَةَ فِي لَيْلَةٍ فَأَتَدَبَّرَهَا وَأُرَتِّلَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَقْرَأَهَا كَمَا تَقْرَأُ)(٦) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه كان إذا تلا هذه الآية ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ الحديد: ١٦ قال : بلى يا ربّ ، بلى يا ربّ)(٧) قال الألوسي : (وفسر الخشوع للقرآن

---

١ – أخرجه مسلم في الصحيح في ٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ٢٧ باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل ٥٦٣/١ حديث ٨٢٢ ، وقوله (هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ) : أي أتهذ القرآن هذا فتسرع فيه كما تسرع في قراءة الشعر ، قال النووي : الهذ شدة الإسراع والإفراط في العجلة ، شرح النووي على مسلم ١٠٥/٦ .

٢ – مفتاح دار السعادة ١٨٧/١ .

٣ – أخرجه أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي في المجتبى من السنن ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م في ١١ كتاب الافتتاح ٧٩ باب ترديد الآية ١٧٧/٢ حديث ١٠١٠ ، وفي إسناده جسرة بنت دجاجة ، قال ابن حجر : مقبولة من الثالثة ويقال إن لها إدراكاً ، تقريب التهذيب ص٧٤٤ .

٤ – هو رَدِيء التَّمر ويابِسُه وما لَيْس له اسْم خاصٌ فَتراه لِيُبْسه ورَدَاءته لا يَجْتَمِع ويكون مَنْثُوراً ، النهاية في غريب الحديث والأثر : المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، تحقيق طاهر الزواوي ومحمود محمد الطناحي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٩٩هـ ٢٩٩/٢ .

٥ – أخرجه أبو بكر بن محمد بن أبي شيبة في المصنف في الأحاديث والآثار ، الدار السلفية الهند ٢٥٦/٢ حديث ٨٧٣٣ وإسناده ضعيف جداً فيه عيسى بن أبي عيسى الخياط ، متروك ، تقريب التهذيب ص٤٤٠ .

٦ – أخرجه أحمد بن الحسين البيهقي في السنن الكبرى ، ٣٩٦/٢ حديث ٣٨٦٦ وإسناده صحيح .

٧ – ذكره السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٥٩/٨ وعزاه لابن المنذر في التفسير .

للقرآن بالانقياد التام لأوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام من غير توان ولا فتور) (١) .

ومما سبق يتضح لنا أن جيل الصحابة الكرام هو الجيل الذي اختاره الله واصطفاه لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونشر الدين والدعوة ، وقد تميز هذا الجيل الفريد بأنه تربى على يد النبي صلى الله عليه وسلم ، فأحسن تربيته ، وظهرت آثار تلك التربية واضحة جلية في مواقفهم وجميع شئون حياتهم، ومن تدبر حياتهم ، وتأمل في حالهم علم أنهم خير أمة أخرجت للناس ، وخير جيل أبصرته البشرية .

المطلب الثالث : أثر تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية المسلم

حوى القرآن الكريم إطاراً عاما للمعرفة والقيم وتصورات أساسية عن المجتمع وغير ذلك ، وكان للقرآن الكريم الأثر الكبير في إعلاء قيم المسلمين وترقية فكرهم وأخلاقهم وضبط سلوكهم وتوجيههم نحو التأمل والتدبر سعياً إلى المزيد من العلم والمعرفة ، مما أثرى الحياة الفكرية .

ويرى الإمام ابن القيم أن الله سبحانه وتعالى قد جعل بين السمع والبصر والفؤاد علاقة وارتباطاً ونفوذاً يقوم به بعضها مقام بعض ولهذا يقرن سبحانه بينهما كثيراً في كتابه كقوله﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾** ﴾ الإسراء: ٣٦ ، وقوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً** ﴾ الأحقاف: ٢٦ ، وقوله﴿ **لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ** ﴾الأعراف: ١٧٩ ، وهذا من عناية الخالق سبحانه بكمال هذه الصورة البشرية لتقوم كل حاسة منها مقام الحاسة الأخرى وتفيد فائدتها في الجملة لا في كل شيء(٢) .

وأشار الإمام ابن القيم إلى أن أهمية التفكير تكمن في أنه يهدي الإنسان إلى معرفة الله والإيمان به من خلال مشاهدة آياته المشهودة ، يقول : " بيان بالآيات المسموعة المتلوة ، وبيان بالآيات المشهودة المرئية ، وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله ، وصدق ما أخبرت به رسله عنه، ولهذا يدعو عباده بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة ويحضهم على التفكير في هذه وهذه، وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل، وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم، وبعد ذلك يضل الله من يشاء، قال الله تعالى : ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾** ﴾ إبراهيم: ٤ ، فالرسل تبين ، والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته (٣) .

---

١ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوسي أبو الفضل ، ١٨٠/٢٧ .

٢ – التبيان في أقسام القرآن : محمد بن أبي بكر بن القيم ص ٤٠٦ .

٣ – مدارج السالكين ٦٦/١ .

والتدبر إنما يكون بالعقل وقد مدح الله سبحانه العقل وأهله في كتابه في مواضع كثيرة منه وذم من لا عقل له وأخبر أنهم أهل النار الذين لا سمع لهم ولا عقل ؛ فهو آلة كل علم وميزانه الذي به يعرف صحيحه من سقيمه وراجحه من مرجوحه والمرآة التي يعرف بها الحسن من القبيح(١ .

فأخبر سبحانه أن القرآن بصائر لجميع الناس ، والبصائر جمع بصيرة وهي: المبينة التي تبصر والتبصرة مصدر مثل التذكرة وسمى بها ما يوجب التبصرة فيقال : هذه الآية تبصرة لكونها آلة التبصر وموجبه ، فالقرآن بصيرة وتبصرة وهدى وشفاء ورحمة بمعنى عام وبمعنى خاص ولهذا يذكر الله سبحانه هذا وهذا فهو هدى للعالمين وموعظة للمتقين وهدى للمتقين وشفاء للعالمين وشفاء للمؤمنين وموعظة للعالمين وموعظة للمتقين فهو في نفسه هدى ورحمة وشفاء وموعظة ، فمن اهتدى به واتعظ واشتفى كان بمنزلة من استعمل الدواء الذي يحصل به الشفاء فهو دواء له بالفعل وإن لم يستعمله فهو دواء له بالقوة وكذلك الهدى(٢) .

ويظهر أثر التدبر في سلوك الصحابة رضي الله عنه بحسب ما نزل فيهم من الآيات الكريمات التي تبين لنا حالهم ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ الأنفال: ٢ ، قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية " وصف الله تعالى المؤمنين في هذه الآية بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة إيمانهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه ونظير هذه الآية﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ الحج: ٣٤ - ٣٥ ، وقال : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ الرعد: ٢٨ فهذا يرجع إلى كمال المعرفة وثقة القلب والوجل : الفزع من عذاب الله فلا تناقض وقد جمع الله بين المعنيين في قوله : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾الزمر: ٢٣ أي تسكن نفوسهم من حيث اليقين إلى الله وإن كانوا يخافون الله فهذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته) (٣) .

وقال ابن كثير : (وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا) وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة) (٤) .

وفي الآية دليل على أن تدبر القرآن الكريم يزيد في الإيمان ، وروي أن هذه الآية قوله :﴿ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الحج: ٣٤ نزلت في أبي بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم(١) .

---

١ - مفتاح دار السعادة ١١٧/١ .

٢ - إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، ١٧٠/٢ .

٣ - تفسير القرطبي ٣٢١/٧ .

٤ - تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، ٣٧٩/٢ .

والْمُخْبِتِينَ : المتواضعين الخاشعين من المؤمنين، والخبت ما انخفض من الأرض والمخبت المتواضع الذي مشيه متطامن كأنه في حدود من الأرض ، وقيل المخبتون الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا ، وهذا مثال شريف من خلق المؤمن الهين اللين ، وقد انعكس ذلك على أخلاق وسلوك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم(٢) .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾ الحج: ٣٥ أي خافت وحذرت مخالفته فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكأنهم بين يديه (٣) .

وذلك أثر من آثار تدبر القرآن الكريم ، وقال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣ ﴾ الزمر: ٢٣ ، في الآية بيان لما يحصل عند سماع القرآن الكريم من التأثر لسامعيه والاقشعرار التقبض يقال اقشعر جلده : إذا تقبض وتجمع من الخوف ، المعنى : أنها تأخذهم منه قشعريرة (٤) .

وقالت أسماء بنت أبي بكر : (كان أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم عند سماع القرآن) (٥) .

وعن عبد الرحمن بن السائب قال : قدم علينا سعد بن أبي وقاص وقد كف بصره فسلمت عليه ، فقال من أنت ؟ فأخبرته ، فقال مرحبا بابن أخي بلغني أنك حسن الصوت بالقرآن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن هذا القرآن نزل بحزن ، فإذا قرأتموه فابكوا ، فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به ، فمن لم يتغن به فليس منا)(٦) .

---

١ – تفسير القرطبي ٥٨/١٢ .

٢ – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١٢٢/٤ .

٣ – تفسير القرطبي ٥٨/١٢ .

٤ – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني ، ٦٥٢/٤ .

٥ – ذكره عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي في تفسير الثعالبي في تفسيره المسمى الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٥٥/٤ .

٦ – أخرجه محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني : في السنن كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ١٧٦ باب في حسن الصوت بالقرآن ٤٢٤/١ حديث ١٣٣٧ وإسناده ضعيف فيه إسماعيل بن رافع الأنصاري ، ضعيف الحفظ ، تقريب التهذيب ص١٠٧ .

أي نزل مصحوبا بما يجعل القلب حزينا والعين باكية إذا تأمل القارئ فيه وتدبر ، يقول أبو بكر الآجري : (أحب لمن يقرأ القرآن أن يتحزن عند قراءته ، ويتباكى ويخشع قلبه ، ويتفكر في الوعد والوعيد ليستجلب بذلك الحزن)[1] .

ولذلك زكت نفوس الصحابة رضي الله عنهم وصقلها الوحي وتعلقت بربها ونسيت في سبيله الأهل والديار واسترخصت كل نفيس وغال ، فكانوا رضي الله عنه يعرضون أعمالهم وأخلاقهم وسلوكهم على كتاب الله ليروا أين هم منه ، وفي ذلك يقول الحسن البصري : الزموا كتاب الله وتتبعوا ما فيه من الأمثال ، وكونوا فيه من أهل البصر ... رحم الله عبدا عرض نفسه وعمله على كتاب الله ، فإن وافق كتاب الله ، حمد الله وسأله الزيادة ، وإن خالف كتاب الله ، أعتب نفسه ، ورجع من قريب [2] .

لقد جرب المسلمون السابقون (من جيل الصحابة) التمسك بالإسلام فوجدوه كفيلاً بسعادة الروح والبدن ، وضابطا لمصالح الدين والدنيا ، والإنسان مخلوق لله سبحانه وتعالى ، وقد ميزه عن غيره من المخلوقات الأخرى في تكوينه وفي منزلته الرفيعة وفي المسئولية التي يتحملها أمام الخالق ، الذي خلقه على هيئة تجمع بين المادة والروح ، والحياة في هذه الدنيا مقدمة للحياة الأخرى ، والحياة فيها توازن بين الدنيا والآخرة، والمسلم الحق حريص على إقامة التوازن بين زينة الدنيا ونعيم الآخرة .

وخلاصة القول أن القرآن الكريم يمتاز بمبادئ سامية وقيم رفيعة تجعله ركيزة قوية لتربية الأفراد وتنظيم المجتمعات ، والتربية هي وسيلة الإنسان لتحقيق أهداف الخالق ، ويتضح للباحثة أن ذلك الأسلوب القرآني المعجز يهدي قارئ القرآن إلى تدبر المعاني ويجعل الإنسان يهتدي بفكره ويتنقل بعقله في مخلوقات الله وكونه ، ليصل بنفسه إلى ما يهديه إلى الحق وإلى الصراط القويم .

---

١ – أخلاق أهل القرآن : محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجُرِّيُّ ، ص١٦٧ .

٢ – المصدر السابق ص ٣٩ .

الخاتمة

بحمد الله وتوفيقه نصل إلى ختام هذا البحث الذي تناول موضوع : أثر تدبر القرآن الكريم في بناء شخصية المسلم (الصحابة إنموذجاً) ، وقد حاولت الباحثة جهدها أن تعطي الموضوع ما يستحقه من بحث ، وتوصلت الدراسة إلى بعض النتائج التي يمكن إجمالها فيما يلي :

أولاً : إن لفظ (التدبر) يطلق ويراد به : النظر بتأمل في عاقبة الأمر وما يؤول إليه ، وهناك إرتباط وثيق بين معنى التدبر في اللغة ومعناه في اصطلاح علماء الشرع .

ثانياً : إن الهدف الأساسي من تدبر القرآن الكريم : معرفة معانيه والاتعاظ العمل به ، وقد ذم الله تعالى حال الذي يحملون القرآن الكريم بغير تدبر .

ثالثاً : إن الآياتُ الآمرةُ بالتَّدبُّرِ منها ما جاءَ على شيءٍ مخصوصٍ ومنها ما جاءَ مطلقًا بالتَّدبُّرِ العامِّ .

رابعاً : هناك الكثير من الأدلة والشواهد التي تبين عناية أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم وتدبره .

خامساً : أن تدبر القرآن الكريم يزيد في الإيمان ، ويرقق نفس المؤمن ويجعله قريبا من رحمة الله تعالى شديد الحذر من عقابه .

سادساً : أن من ثمرات قراءة القرآن الكريم وتدبره الزهد في الدنيا والإقبال على الله تعالى .

سابعاً : إن للتدبر أثراكبيرا على حياة المسلم ، فهو الذي يوجه حياته ويختم على عمله .

وفي الختام ترى الباحثة ضرورة عقد مثل هذه المؤتمرات والندوات التي تهدف إلى تفعيل أثر تدبر القرآن في حياة المجتمع لما لها من فوائد تسهم في وضع الحلول للكثير من المشكلات المعاصرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس المصادر والمراجع

١/ إحياء علوم الدين : محمد بن محمد بن محمد أبو حامد الغزالي ، دار المعرفة – بيروت .

٢/ أخلاق أهل القرآن : محمد بن الحسين بن عبد الله أبو بكر الآجُرِّيُّ ، حققه الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م .

٣/ الإعجاز العلمي في القرآن الكريم : السيد الجميلي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٩٢م .

٤/ إعلام الموقعين عن رب العالمين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى١٤١١هـ – ١٩٩١م .

٥/ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٥هـ– ١٩٧٥م .

٦/ التبيان في أقسام القرآن : محمد بن أبي بكر بن القيم ، تحقيق محمد حامد الفقي ، الناشر: دار المعرفة ، بيروت ، لبنان .

٧/ التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق : إبراهيم الأبياري دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥هـ .

٨/ تفسير الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، الناشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت .

٩/ تفسير القرآن : أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، دار الوطن، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ– ١٩٩٧م .

١٠/ تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار إحياء الكتب العربية ، بيروت .

١١/ تفسير الماوردي (النكت والعيون) : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية - بيروت .

١٢/ تقريب التهذيب : أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلانى ، تحقيق محمد عوامة ، دار الرشيد . سوريا ، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ. ١٩٨٦م .

١٣/ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ .

١٤/ الجامع الصحيح المختصر : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

١٥/ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) : محمد بن أحمد بن أبي بكر أبو عبد الله القرطبي ، تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م .

١٦/ ديوان جرير بن عطية بن الخطفى ، دار صادر، بيروت ١٩٦٠م .

١٧/ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : محمود الألوسي أبو الفضل ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٨/ سنن ابن ماجه : محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر – بيروت .

١٩/ سنن الدارمي : عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي ، تحقيق : فواز أحمد زمرلي ، خالد السبع العلمي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

٢٠/ السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، مكتبة دار الباز مكة المكرمة ١٤١٤هـ .

٢١/ صحيح مسلم : مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٢/ عمدة القارئ : بدر الدين محمود بن أحمد العيني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٣/ العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي ، الناشر : دار ومكتبة الهلال ، تحقيق : مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي .

٢٤/ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي الشوكاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر ، الطبعة الأولى ١٣٥٠هـ .

٢٥/ لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور المصري ، دار صادر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

٢٦/ المجتبى من السنن : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي ، تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦م .

٢٧/ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م .

٢٨/ المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م .

٢٩/ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين : محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتاب العربي – بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م .

٣٠/ المستدرك على الصحيحين : محمد بن عبد الله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ,١٩٩٠

٣١/ مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني ، الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة .

٣٢/ المصنف في الأحاديث والآثار : أبو بكر بن محمد بن أبي شيبة ، الدار السلفية الهند .

٣٣/ مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة : محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، دار الكتب العلمية – بيروت .

٣٤/ المفردات في غريب القرآن : الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة بيروت .

٣٥/ مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر : مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ .

٣٦/ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج : أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .

٣٧/ نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، تحقيق : عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، مطبعة سفير بالرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ .

٣٨/ النهاية في غريب الحديث والأثر : المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، تحقيق طاهر الزواوي ومحمود محمد الطناحي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٣٩٩هـ .

٣٩/ نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم : محمد بن علي بن الحسن بن بشر ، الحكيم الترمذي ، تحقيق: عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل – بيروت .